قصة آية

20

حقيقة محبة الله

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



حقيقة محبة الله

قالَ (تعالى) :

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران : ٣١]

اجْتَمَعَ العَرَبُ فى بَيْت اللّه الْحَرام ، وَرَاحُوا يَضَعُونَ الأَصْنَام حَوْلَ الكَعْبَة ، وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا بَيْض النَّعَامِ ، ثُمَّ يَضَعُون لهـا الأَقْـراطَ ؛ ليَتَفَنَّنوا فى تَزْيِينِها وتَجميلِها .

وَنَظَرَ أَحَدُهُم إِلى هَذا المنظرِ فَأَعْجَبهُ فَقَال :

ـ أَلا مــا أَجْــملَ هذا المنظرَ ! نَرْجُــو أن يُعْجِبَ اللَّهَ ويَنالَ رِضَاهُ .

وَقَالَ آخرُ :

ـ لَقَدْ تَكَبَّدْنَا الْمَشَاقَّ حتَّى حَصَلْنَا عَلَى بَيْضِ النَّعَامِ ، وَعَلَّقْنَا الذَّهَبَ والْحُلِىَّ لِكَىْ تَصِيرَ الأَصْنَامُ فى أَبْهَى صُورةٍ لها وذلِكَ حُبًّا فى اللَّهِ وتَقَرُّبًا إليه .

وحـاولَ بَعْضُ الْعُقَـلاءِ مِنَ الْعَـربِ أَنْ يُبَـيِّنوا لِلْمُـشْـرِكينَ خَطَأَ زَعْـمِهِم ، لكِنَّ الْمُشْرِكين أَصَمُّوا آذانَهُمْ عن سَمَاعِ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَقالُوا :

ـ إِنَّما نَعْبُدُ هَذِهِ الأَصْنَامَ لكىْ تقربَنَا إِلى اللَّهِ ، فَهِىَ مجردُ وَساطة بيننا وبَيْنَهُ .

فَقَالَ الْعُقَلاءُ :

ـ لَقَدْ صَوَّرَتْ لكُمْ عُقُولُكُمُ المَرِيضَةُ ذلك ، فاللَّهُ هُوَ الغَنِىُّ الْحَمِيدُ وهُوَ لا يَقْبَلُ الشِّرْكَ .

وَعِنْدَمَا ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الرسولِ ﷺ ، كانَ العَربُ قد اعتادُوا عَلَى هذا الصَّنِيعِ كلَّ عامٍ ، حَيْثُ يَنْصِبُونَ الأَصْنَامَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ، ويُعَلِّقُونَ عَلَيْها بَيْضَ النَّعَامِ ، ويَجْعَلُونَ فِى آذانِها الذَّهَبَ والحُلِىَّ ويَسْجُدونَ لَهَا مِنْ دُونَ اللَّهِ .

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ يَا مَعْشَرَ قريشٍ ، لَقَدْ خَالَفْتُم مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ .

فَقَالَ المُشْرِكون :

ـ وكيفَ ذَلك ؟

فَأَوْضَحَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ (عليهما السَّلامُ) كانَا يَعْبُدَانِ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلا يَعْبُدَانِ الأَصْنَامَ ، وقالَ ﷺ مُؤَكِّدًا ما يَقُولُ :

ـ لَقَدْ كَانَا على الإِسْلامِ .

وَلَمْ يَجِدْ أَهْلُ قُرَيْشٍ مَا يُجِيبُونَ بِهِ

عَنْ كَلامِ الرَّسُولِ ﷺ ، فَرَاحُوا يَبْحَثُونَ عَنِ الْحُجَجِ الْوَاهِيَةِ والضعيفةِ فَقَالُوا :

ـ يَا مُحَمدُ ، إِنَّما نَعْبُدُ هذهِ حُبًا للَّهِ لِتُقَرِّبَنَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى ، فَهِيَ مُجَرَّدُ وَسِيطٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا .

وَتَرَكَ الرَّسُولُ ﷺ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَذَهَبَ يَدْعُو سَائِرَ النَاسِ إِلى دِينِ اللَّهِ ، فَدَعَا الْيهودَ إِلى الإِسلامِ وخَوَّفَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَقَالَ اليهودُ لَهُ :

ـ وَهَلْ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ؟



فَـأَخْبَـرَهُمُ الرَّسُـولُ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يَعَـذِّبُ الكافِرِينَ بِهِ وَ المُكَذِّبِينَ بِرُسُلِهِ .

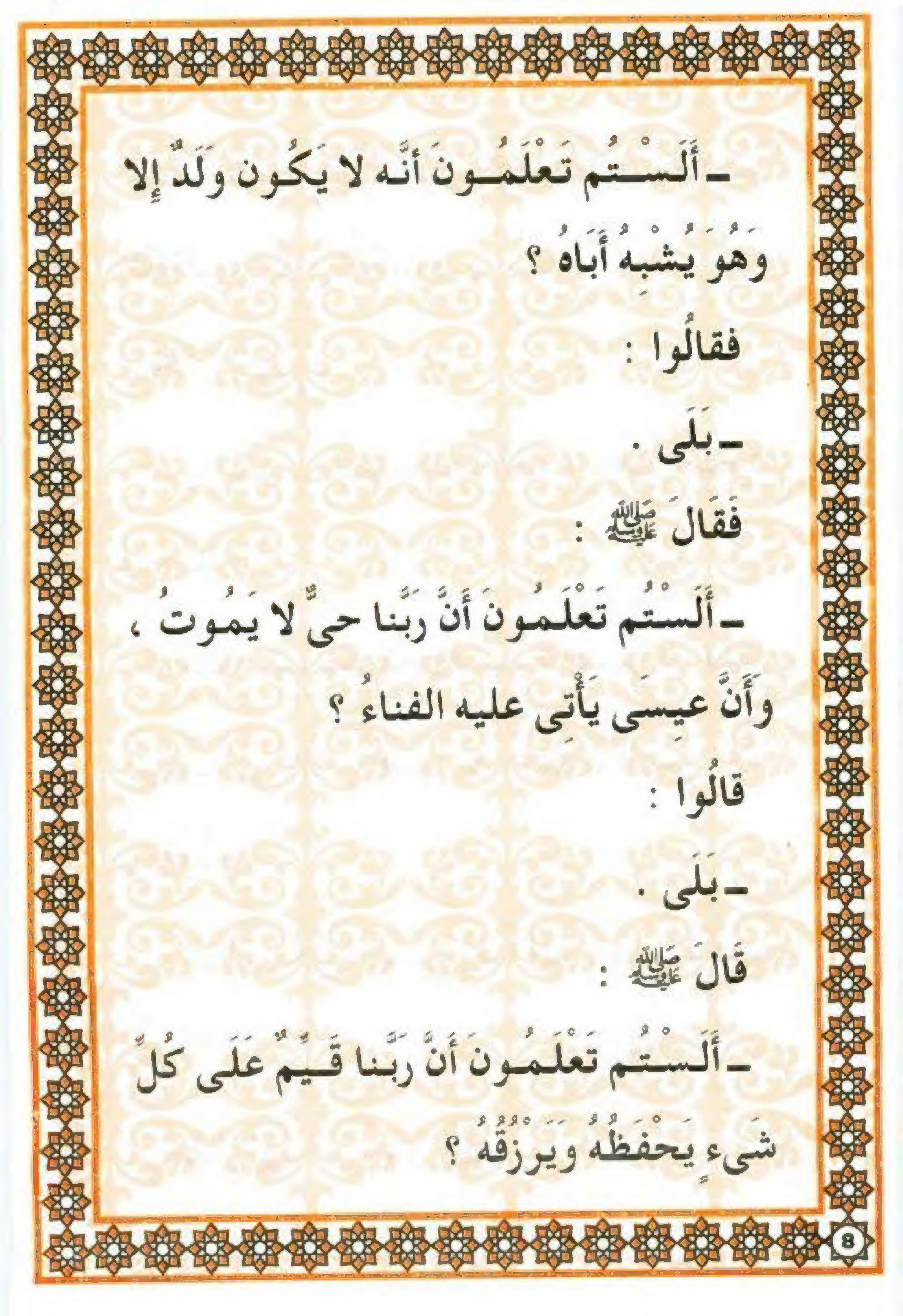
فَقَالَ اليَهُودُ :

ـ وكَـيْفَ يُعَـذِّبُنَا اللَّهُ ونَحْنُ أَبْنَاؤُه وأَحِبَّاؤُه ؟

وَعِنْدَمَـا قَـدِمَ وَفْـدُ نَجْـرَانَ عَلَى الرَّسُـولِ ﷺ رَاحُـوا يُجَـادِلُونَ النبيَّ ﷺ ويقُولُونَ :

ـ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِيسَى ولدًا للَّهِ ، فَمَنْ يكُونُ أَبُوه ؟

فَقَالَ لَهُمُ الرَّسولُ ﷺ :



ـ أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أنَّه لا يَكُون وَلَدٌ إِلا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ؟

فقالُوا :

ـ بَلَى .

فَقَالَ ﷺ :

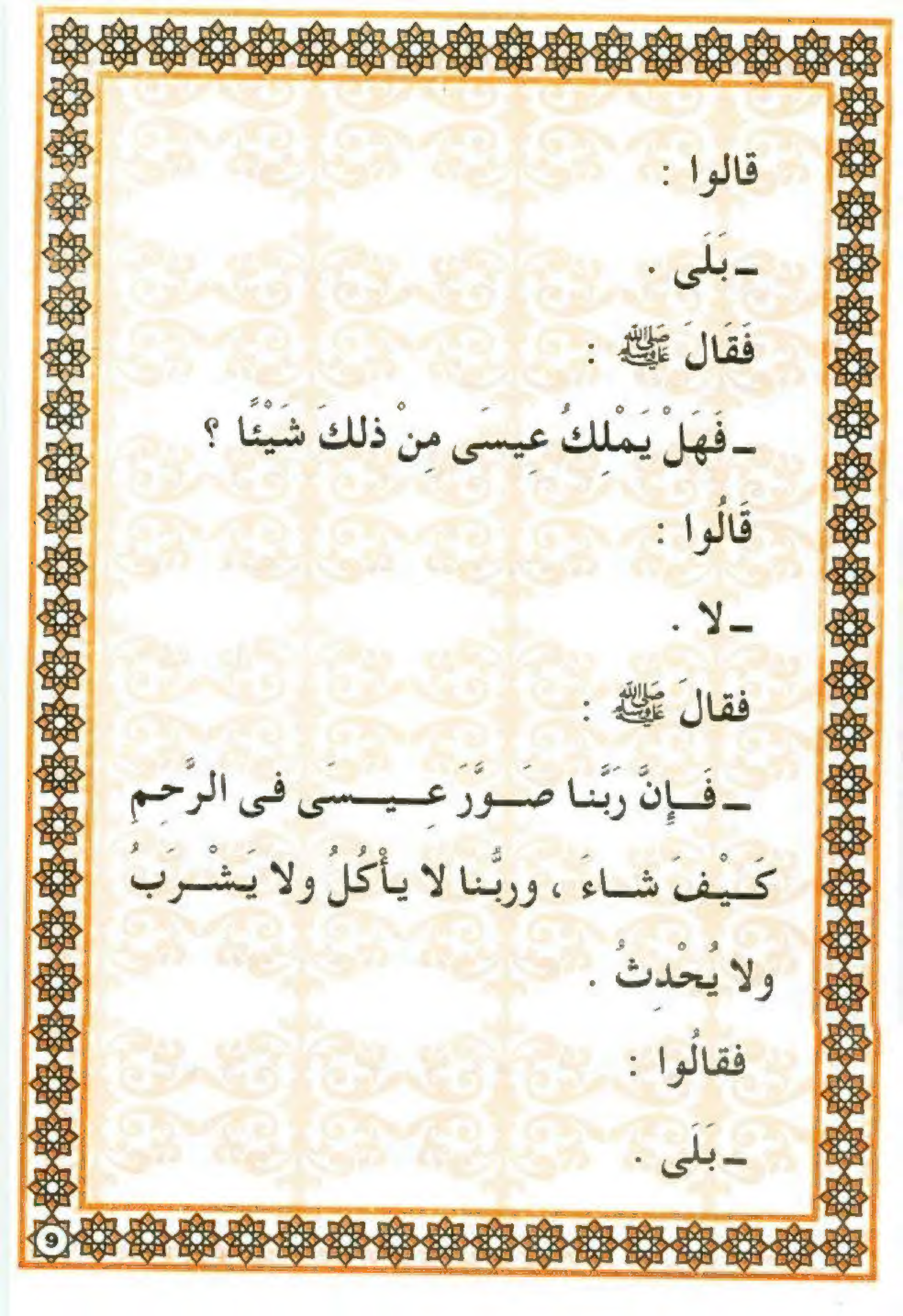
ـ أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنا حيٌّ لا يَمُوتُ ، وأَنَّ عيِسَى يَأْتِي عليه الفناءُ ؟

قالُوا :

ـ بَلَى .

قَالَ ﷺ :

ـ أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ يَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟



قالوا :

- بَلَى .

فَقَالَ ﷺ :

- فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟

قَالُوا :

- لا .

فقالَ ﷺ :

- فَإِنَّ رَبَّنا صَوَّرَ عِيسَى في الرَّحِمِ كَيْفَ شاءَ ، وربُّنا لا يأْكُلُ ولا يَشْرَبُ ولا يُحْدِثُ .

فقالُوا :

- بَلَى .

فَقَالَ ﷺ :

ـ أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ عيسى حَمَلَتْهُ أُمُّه كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَها ، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ ثُمَّ كانَ يَطْعَمُ ويَشْرَبُ ويُحْدِثُ ؟

فقالُوا :

ـ بلى .

فَقَالَ ﷺ :

ـ فَكَيْفَ يَكُونُ كَمَا زَعَمْتُم ؟

وَلَمْ يَجِدِ الْوَفْدُ رَدًّا مُقْنِعًا يُجِيبُونَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالُوا :



ـ إِنَّما نُعَظِّمُ المْسيحَ ونَعْبُدُهُ حُبًّا للَّهِ وتَعْظِيمًا لَهُ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ (تَعالَى) ردًّا على الْمُشْرِكينَ واليَهُودِ والنَّصارَى قَوْلَهُ (تعالَى) :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١]

ومَحَبَّةُ العَبدِ للَّهِ مَعْناها طَاعَتُهُ إِيَّاهُ وَاتِّبَاعُهُ لأَوامِرِه ، أَمَّا مَحَبَّةُ اللَّهِ للْعِبادِ فَمَعْنَاهَا إِنْعَامُهُ عَلَيْهِمْ بالْغُفْرَانِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ :

ـ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ فَعَلَيْهِ بِصِدْقِ

الْحَدِيثِ وَادَاءِ الأَمَانَةِ وَأَلاّ يُؤذِى جَارَهُ .

[رواه الترمذى]

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قَالَ
رسولُ اللَّهِ ﷺ :

إنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ،
فَقَالَ : إِنِّى أُحبُّ فُلانًا فَأحِبَّهُ ، قَالَ :
فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ
فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوه ؛
فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ : ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ
الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا
جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّى أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ ،

قَالَ : فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ : أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوه ، قَالَ : فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الأَرْضِ .

(رَوَاه مُسْلِمٌ)

إِنَّ حُبَّ اللَّهِ لَيْسَ دَعْوَى بِاللِّسَانِ ، ولا هُيَامًا بِالْوِجْدَانِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُصَاحِبَ الْكَلامَ الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَالسَّيرُ على هَدْيِهِ ﷺ ، وتَحْقِيقُ مَنْهَجِهِ فِى الحَيَاةِ . . فَالإِيمانُ لَيْسَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ ،

وَلكنَّهُ طَاعةٌ للَّهِ والرسولِ ، وَعَمَلٌ بِمَنْهَجِ اللَّهِ الَّذى يَحْمِلُهُ الرَّسُولُ ﷺ .

فَإِذا ادَّعى إِنْسَانٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ (عزَّ وجلَّ) ورسولَهَ ، نَظَرْنَا إِلى أَعْمَالِه وأَفْعَالِه ، فإِنْ كَانَتْ مُوَافِقَةً لكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، قُلْنَا لَهُ : صَدَقْتَ فِى حُبِّكَ للَّهِ وَرَسُولِهِ .

أَمَّا إِذَا كَانَتْ أَعْمَالُهُ وأَفْعَالُه تُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ وسُنَّةَ رسولِه ﷺ ، فهو كَاذبٌ فِى دَعْوَاه ، لأنَّ الُمحِبَّ يُطِيعُ مَنْ أَحَبَّ وَلا يَعْصِيه.



وَلِذَلِكَ يقولُ الإِمَامُ ابنُ كثيرٍ فى تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيةِ :

ـ هذه الآيةُ الْكريمةُ حاكمةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ . فَإِنَّهُ كاذبٌ فى نفسِ الأَمرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرعَ المَحمدىَّ وَالدِّينَ النبوىَّ فى جميعِ أَقْوالِهِ وأَفعالِهِ .

كما ثَبَتَ فى الصحيحِ عن رسولِ اللَّه ﷺ أَنَّه قال : «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليهِ أَمْرُنَا فهو ردٌّ»

اللَّهمَّ إنَّا نسْأَلُكَ حُبَّك ، وحبَّ من



يُحِبُّك ، وحُبَّ ما يقربُنَا إليكَ من قولٍ أو عملٍ ، نَسْأَلُكَ الصِّدْقَ فِى مَحَبَّتِكَ بِطَاعَةِ رَسُولِكَ ﷺ .

رقم الإيداع : ٨٨١١ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي : ٣ - ١٢٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧